جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

اسم المادة : الأدب المقارن

المرحلة الرابعة

عنوان المحاضرة : الأدب المقارن والأدب العام

مدرس المادة: م.د.مصطفى مزاحم مصطفى

Mustafa.mzahim@tu.edu.iq

و

م.م.نور عبد الحميد سليمان

Noor.Suleiman@tu.edu.iq

الأدب المقارن والأدب العام

يشترك (الأدب العام، وعالمية الأدب، والأدب العالمي) في معنى واحد، وكذلك في العلاقة مع الأدب المقارن، وبينها اختلافات يسيرة، لكنها تلتقي في نتيجة واحدة، ولأن للأدب المقارن مدارس متنوعة؛ فقد اختلفت وجهات النظر من مدرسة إلى أخرى في الاصطلاحات الأخيرة، ولأهمية المدرسة الفرنسية في علم الأدب المقارن وشيوعها في العالم، سيكون بدء الدراسة بها، بحسب رأي أستاذ الأدب المقارن الفرنسي (فان تيغم).

ينظر فان تيغم إلى الأدب المقارن على أنه همزة وصل ترتبط من أحد طرفيها بالأدب القومي، في حين ترتبط من طرفها الآخر بالأدب العام أو العالمي، فالأدب المقارن يشكل إضافة نوعية إلى تواريخ الآداب القومية فيكملها ويوسع من آفاقها بفضل الحقائق التي يكتشفها والعلاقات الثنائية الجديدة التي يعثر عليها، كما أن الأدب المقارن استطاع أن يفتح بفضل التراكم الذي حققته دراساته وبحوثه من زوايا آداب قومية مختلفة ارتبطت فيما بينها بعلاقات تاريخية ملموسة بابا واسعا أمام معرفة أدبية من نوع آخر تسمو على الخطوط التي تفصل بين الآداب القومية وتتخطاها ونعني بذلك الأدب العام.

وينبّه فان تيغم إلى أن مجرد الاكثار من إجراء بحوث حول علاقات ثنائية متفرقة بين الآداب القومية لا يساعد بذاته على ادراك الظواهر الأدبية الكبرى، فمهما كان عدد العلاقات التي تتناولها أبحاث الأدب المقارن كبيرا فإذا بقيت هذه العلاقات والوقائع المترتبة عليها معزولة عن بعضها لن يكون هناك تاريخ أدب عام، إن قيام تاريخ أدب عام يقتضي في رأي فان تيغم تضافر الجهود من أجل دراسة نوع من الوقائع في آداب كثيرة جملة واحدة، وبهذا المنهج نستطيع بناء التاريخ الأدبي العالمي، لا بمواد متفرقة نجمعها عرضا بل وفقا لمنهج عقلي موضوع، ويقول فان تيغم إنه بعد التواريخ الأدبية القومية وهي المرحلة الأولى الضرورية وبعد الأدب المقارن الذي يكملها ويصل بعضها ببعض مثنى مثنى ويجعل أجزاءها مفهومة معقولة يأتي فرع ثالث من الدراسة يكمل العمل التركيبي الذي بدأه الفرعان الأولان وهو (الأدب العام)، ويرى فان تيغم أن ميدان الأدب العام هو الظاهرات الأدبية التي تنسب إلى عدة آداب معا، كما يرى أن لهذه الدراسة فوائد جمة؛ ذلك لأننا لا نستطيع أن نفهم هذه الآداب في تفصيلاتها

اللامتناهية ومظاهرها القومية إلا إذا درسناها في أول الأمر جملة واحدة في خصائصها العالمية، فضلا على أنها توضح الروابط الروحية التي تجمع عددا كبيرا من الناس من أبناء جيل واحد، ويستفيد الأدب العام من الوقائع التي تكتشفها أو توضحها تواريخ الآداب القومية وينتفع بما ينتهي إليه الباحثون من تحليلات للأفكار والعواطف، وينتفع كذلك بالنتائج التي يخلص إليها الأدب المقارن، إن هذه المبادلات الفكرية والفنية وهذه التأثيرات وهذه الاستجابات أو ردود الفعل هي وقائع ذات قيمة كبيرة يخرجها من عزلتها ويقربها من وقائع أخرى شبيهة بها ويمزجها بعضها ببعض ليخرج من ذلك بكلٍّ مركب، ومن الوقائع التي يعنى بها تاريخ الأدب العام وهي كثيرة ومختلفة؛ البتراركية والفولتيرية والروسوية والبايرونية والتولستوئية وغيرها، وللأدب العام من وجهة نظر فان تيغم فوائد جمة فهو فضلا على كونه يساعدنا على تحاشي الثغرات والاستعمالات المزدوجة المترتبة على البحوث المقارنة التي تنجزها جهود فردية معزولة عن بعضها في أغلب الأحوال فالأدب العام يساعدنا على اكتشاف المناطق التي لم تمسها بعد يد البحث ومن الناحية الأخرى فإن تناول قضايا البحث بصورة متفرقة من جانب الأدب المقارن لا يساعدنا على اكتشاف القوانين العامة للظواهر الأدبية ولذلك فإن الأدب المقارن قادر على تصنيف الظواهر الأدبية وفهمها فهما أدق وأشمل، ويرى فان تيغم أن من الفوائد التي تنسب إلى الأدب العام ما يتيحه لمختلف الشعوب من فرص لاستزادة التعارف واستزادة التفاهم ولمعرفة ما أضافه كل كاتب من عواطف وأفكار وتعبيرات إلى التراث المشترك للإنسانية.

هذا ما يخص المدرسة الفرنسية في نظرتها إلى الأدب العام، أما المدرسة الأمريكية المتمثلة ب(رينيه ويلك) فكما رفضت الأدب المقارن فكذلك رفضت أن يكون هناك (أدب عام)، وجعلت من الأدب العام والمقارن والقومي أدبا واحدا.

أما المدرسة الاشتراكية فقد اعترفت بوجود الأدب العام، لكنها وضعت شروطا محددة في ذلك، وربما تركزت وجهة النظر الاشتراكية في الباحث الروماني اسكندر ديما الذي يرى أن العمل الأدبي ليكون أدبا عاما أو عالميا يجب أن تتوفر فيه الشروط الأتية (موضوعه الشيق، وأسلوب لغته الموحي، وشخصياته الجلية، والجدة الباهرة لصوره الفنية، وتكوينه المرهف، ونظمه الباهر).

الأدب العالمي أو عالمية الأدب

ومع أن الباحثين يتفقون فيما بينهم حول أهمية عامل الانتشار في اكتساب أدب قومي ما أو عمل أدبي صفة العالمية إلا أنهم يختلفون فيما بينهم حول المضمون الحقيقي لظاهرة الانتشار نفسها، فإذا كانت عملية الانتشار تبدو لنظرة سطحية واحدة إلا أن مضمونها ومعناها وبالتالي قيمتها ليست واحدة، إن أول ما يتبادر إلى الذهن عند وصف عمل أدبي بأنه عالمي أنه متطور أو متقدم في شكله الفني، وما من شك في أن الجودة الفنية للعمل الأدبي تجعله أكثر قدرة على اجتياز حدوده اللغوية والثقافية القومية وعلى دخول رحاب العالمية، ولكن السؤال هو هل أن الجودة الفنية أو المستوى الفني العالي هي أو هو وحده وراء انتشار العمل الأدبي متخطيا حدود لغته القومية وثقافته القومية؟ هناك من يذكّر بالانتشار الكبير والواسع الذي تتمتع به الرواية البوليسية وروايات الحب العاطفية المبتذلة التي كثيرا ما تحظى بانتشار عالمي يفوق كثيرا الانتشار الذي تحققه أعمال أدبية ذات جودة فنية عالية، فإذا كانت العالمية تعني أن يتخطى العمل الأدبي حدوده اللغوية والثقافية القومية إلى لغات وثقافات قومية أخرى فلن يكون هناك ما يمنع من الاعتراف بعالمية الكثير من الأعمال الأدبية التافهة.

لقد قاد الجدل بين الباحثين إلى الاقتناع بأن وراء رواج أعمال أدبية وانتشارها عالميا سببا غير الجودة الفنية أحيانا، ولذلك فإن جهود الباحثين المختصين والنقاد أدت إلى القول بأن الأعمال الأدبية ذات الجودة الفنية العالية هي أعمال ابداعية شقت لآدابها القومية دروبا ابداعية جديدة، وقطعت مراحل جديدة من التطور الفني للأدب على المستوى العالمي.

وفي كل الأحوال تبقى المسألة خلافية ومجال البحث فيها واسع، ولكن ذلك لا يمنع بأي حال من الأحوال بأن هناك أدبا عالميا، أو أن هناك أعمالا تتصف بكونها عالمية الأدب.

مصدر المحاضرة: الأدب المقارن، جميل نصيف